

سلوان بين التوراة والآثار

زيـدان كفافي

كلية الآثار والأنثروبولوجيا
جامعة اليرموك - إربد - الأردن

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الأضواء على بقعة هامة من القدس، وهي بلدة سلوان، والتي يسمي الباحثون التوراتيون والإسرائيليون القسم الشرقي القريب من سور الحرم الشريف منها باسم مدينة داود. إذ تعرضت هذه البلدة خلال السنوات الأخيرة إلى التدمير المنظم لبنيتها العربية التحتية من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي؛ بهدف تحويلها لمتنزه تاريخي توراتي يؤكد على أنها كانت المكان الأصلي الذي بنى فيه داود عاصمته. وبناء عليه، وجدنا أنه لا مناص من دراسة نتائج الحفريات الأثرية التي أجريت في هذه المنطقة للاستدلال على تاريخها القديم من خلال المعثورات الأثرية، لا من خلال النصوص التوراتية.

بنيت بلدة سلوان على جانبي وادي سلوان وتحتل الأراضي المحاذية لسور القدس من جهته الجنوبية، وضمت إلى مدينة القدس في عام 1961م، وأصبحت تعدّ حياً من أحيائها. وعلى مقربة من البلدة توجد تتوزع مجموعة من المصادر المائية مثل، «عين سلوان»، و«عين أم الدرج»، و«بركة سلوان»، و«البركة التحتانية»، و«بئر أيوب»، و«عين اللوزة». وربما كانت هذه هي السبب الذي دفع المجموعات البشرية للاستقرار فيها منذ الألف الرابع قبل الميلاد. وتشكل في الوقت الحاضر حاضنة المسجد الأقصى. والبلدة غنية جداً بمواقعها الأثرية والتاريخية.

بعد سقوط الضفة الغربية بأيدي إسرائيل بعد حرب عام 1967م، وضعت سلطات الاحتلال نصب عينها البحث في أرض سلوان من خلال إجراء حفريات أثرية، سعياً منها إلى العثور على بقايا مدينة داود في هذا المكان. كما أن إسرائيل بدأت بتشريد سكانها، أملاً في إحلال مستوطنين يهود، بدلاً عنهم، وتهويدها، وحفرت عدداً من الأنفاق التي تتجه صوب المسجد الأقصى.

ولتحقيق غرض هذه الدراسة، الممثل في وضع تاريخ سلوان في الفترة السابقة لقدم الإسكندر المقدوني للمنطقة، وجدنا أنه من واجبننا مناقشة ما يلي:

- 1 - الزعم التوراتي بأن سلوان هي «مدينة داود».
- 2 - النشاط الاستيطاني الإسرائيلي الحالي في سلوان.
- 3 - استعراض الحفريات الأثرية التي أجريت في سلوان ومناهج التنقيب المتبعة.
- 4 - مناقشة نتائج التنقيبات الأثرية.
- 5 - الحقيقة الضائعة بين النصوص التوراتية والحفريات الأثرية/ مناقشة.
- 6 - النتائج.

ونأمل بأن تخرج هذه الدراسة في وضع صورة حقيقية عن تاريخ سلوان في العصور القديمة، وزيف الزعم الإسرائيلي، بناء على حقائق أثرية مبنية على أساس علمي.

مقدمة

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على بقعة مهمة من بيت المقدس، مجاورة للحرم القدسي الشريف، هي بلدة سلوان التي يدعوها الباحثون التوراتيون والإسرائيليون "مدينة داود". تتعرض هذه البلدة منذ الاجتياح الإسرائيلي للضفة الغربية في حزيران من عام 1967م إلى عملية تشويه وتزوير منظم، حيث تم تدمير بنيتها التحتية بهدف تغيير معالمها العربية. وبلغت هذه العملية أوجها خلال السنوات الأخيرة، بهدف تحويلها إلى متنزه تاريخي توراتي يعزز الزعم على أنها الموقع الذي بنى فيه داود عاصمته أورشليم.

فقد ذكر الآثاري الإسرائيلي رفائيل غرينبرغ في مقالة له نشرت في شهر شباط من عام 2009 (Greenberg 2009)، أن الدراسات الأثرية في بلدة داود "سلوان" سلّمت في السنوات الأخيرة لمؤسسات إسرائيلية غير حكومية، ويعني بذلك منظمات المستوطنين اليهود. ويؤكد هذا القول ما يدلي به المسؤولون الإسرائيليون، من تصريحات، بين الفينة والأخرى، نورد بعضاً منها:

نشرت وكالة الأنباء (أ.ف.ب) بتاريخ 30/5/2009 ما صرح به الحاخام "ياكوف سافير" الذي يدير مدرسة دينية في مستوطنة صغيرة في الضفة الغربية ما يلي: "إن الانتقادات الدولية للاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية سخيفة لأن الله هو الذي وعد اليهود بهذه الأرض، وعلى العرب أن يرحلوا إلى مكان آخر". ويعني هذا الكلام بصريح العبارة أن ما احتل عام 1967 هو تحقيق لوعده إلهي بملكية هذه الأرض.

وكان المحلل الإسرائيلي "شالوم يروشالمي" نشر في جريدة معاريف الإسرائيلية بتاريخ 24/7/2009 ما يلي: "إن اللحظة الراهنة هي الأكثر ملاءمة لدق أوتاد الاستيطان في كل مكان، وهي تجري في القدس من بيت لبيت.....".

إن المصطلحات الأساسية المستخدمة بهذا الصدد من قبل "أليشع بيلغ" و"ماني دان كوهين" و"دافيد باري"، الذين يمثلون الشخصيات الأولى المسؤولة عن النشاط اليهودي الاستيطاني في شرق القدس، هي "القطع" و"فرض الحقائق على الأرض التي تحول دون تقسيم المدينة"، و"أحياء يهودية تقام في قلب الأحياء العربية لقطع

التواصل السكاني العربي في المدينة“ و”منازل تشرى في قلب سلوان من أجل منع وجود تواصل عمراني عربي داخل الحي....“.

ومن الملاحظ أن المخطط الإسرائيلي لم يركز على مدينة القدس داخل السور فقط، وإنما على الأحياء والقرى المحيطة بالمدينة أيضاً، كغيرها من باقي مناطق فلسطين، والآن جاء دور سلوان.

وبناء عليه، كان لا بد من دراسة وتحليل نتائج الحفريات الأثرية التي أجريت في هذه المنطقة للاستدلال على تاريخها القديم من خلال المعثورات الأثرية، لا من خلال النصوص التوراتية.

الموقع

تقوم بلدة سلوان على جانبي وادي ستنا مريم (وادي سلوان) وتحتل الأراضي القرية لسور القدس من جهته الجنوبية، ويفصلها عنها وادي حلوة. وقد ضمت إلى مدينة القدس في عام 1961، وأصبحت تعد حياً من أحيائها. وعلى مقربة من البلدة تتوزع مجموعة من المصادر المائية مثل، ”عين سلوان“، و”عين ستنا مريم أو أم الدرج“، و”بركة سلوان“، و”البركة التحتانية“، و”بئر أيوب“، و”عين اللوزة“. وربما كانت هذه هي السبب الذي دفع المجموعات البشرية للاستقرار فيها منذ الألف الرابع قبل الميلاد. وتشكل سلوان في الوقت الحاضر حاضنة المسجد الأقصى. والبلدة غنية جداً بمواقعها الأثرية والتاريخية، التي تشهد على تاريخها وأصولها العربية.

بعد احتلال القوات الإسرائيلية للضفة الغربية في حرب عام 1967، وضعت سلطات الاحتلال نصب أعينها البحث في أرض سلوان من خلال إجراء حفريات أثرية، سعياً منها للعثور على بقايا مدينة داود في هذا المكان. كما أنها بدأت بتشريد سكان القرية مستخدمة كل الوسائل ومتعلقة بجميع السبل والمعاذير، سعياً لإحلال مستوطنين يهود، بدلاً عنهم، وتهويدها، وحفرت عدداً من الأنفاق التي تتجه صوب المسجد الأقصى.



جانب من بلدة سلوان (صورة مأخوذة من الأنترنت)

ونقدم أدناه دراسة لبعض ما ذكرته الأسفار التوراتية فيما يتعلق بهذا الموضوع، ولنتائج الحفريات الأثرية التي أجريت في سلوان، ولو أنها تمت في معظمها، إن لم يكن جميعها، على أيدي الإسرائيليين أو المتعاطفين معهم.

«مدينة داود» في التوراة

تروي التوراة أن الملك داود أخذ المدينة (يبوس) عنوة من سكانها الأصليين، اليبوسيين، على النحو التالي:

«وسار داود ورجاله إلى أورشليم أي يبوس حيث كان اليبوسيون، فقالوا له: «لا يمكنك أن تدخل إلى هنا». فاحتل داود حصن صهيون الذي سمي مدينة داود فيما بعد. 6 وقال في ذلك اليوم: «كل من يقتل يبوسياً أولاً يكون رئيساً وقائداً». فصعد أولاً يواب ابن صروية وقتل يوسياً فصار رئيساً. 7 وأقام داود في الحصن وسماه مدينة داود. 8 وبني المدينة من حوله، من ملو فما حولها، وجدد يواب سائر المدينة. 9 وكان داود يزداد عظماً، والرب القدير معه» (أخبار الأيام الأول 11: 4 - 9).

وتضيف التوراة في مكان آخر وصفاً لكيفية دخول داود وجنوده عبر الأنفاق إلى داخل المدينة، على النحو الآتي:

6«وسارَ الْمَلِكُ ورجاله إلى أُورُشَلِيمَ لِجَارِبَةِ الْيُوسِيِّينَ سُكَّانِهَا، فَقَالَ لَهُ هَؤُلَاءِ وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَهَا: «لَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَدْخَلَ إِلَى هُنَا، فَحَتَّى الْعَمِيَانُ وَالْعُرْجُ يَصُدُّونَكَ». 7لَكِنَّ دَاوُدَ احْتَلَّ حِصْنَ صِهْيُونَ وَهُوَ مَدِينَةُ دَاوُدَ 8وَقَالَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ لِرَجَالِهِ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهَاجِمَ يَوسِيًّا، فَلْيَدْخُلْ عَبْرَ قَنَاةِ الْمِيَاهِ إِلَى حَيْثُ أَوْلَيْتُكَ الْعُرْجَ وَالْعَمِيَانُ الَّذِينَ تَعَافَهُمْ نَفْسِي». فَلذَلِكَ يُقَالُ: «لَا يَدْخُلُ بَيْتَ الرَّبِّ أَعْمَى وَلَا أَعْرَجٌ». 9وَأَقَامَ دَاوُدُ فِي الْحِصْنِ وَسَمَّاهُ مَدِينَةَ دَاوُدَ، وَبَنَى حَوْلَهُ سُورًا مِنَ الْقَلْعَةِ إِلَى الدَّخْلِ (صموئيل الثاني 5: 6 - 9).

وفي كلتا الروايتين المذكورتين، يذكر النص أن الملك داود احتل المدينة وأصحابها اليوسيين، وأقام في بداية حكمه جداراً مكوناً من عدة مصاطب (ميلو) بني بعضها فوق بعض على شكل مدرج، وبني له فوقها حصناً سماه «مدينة داود». وتضيف النصوص التوراتية أن داود بنى في أواخر حكمه قصرًا بمساعدة ملك صور الفنيقي حيرام، حيث يذكر النص: "وَأَرْسَلَ حِيرَامُ مَلِكُ صُورَ وَفَدًا إِلَى دَاوُدَ وَأَخْشَابَ أَرْزَ وَنَجَّارِينَ وَنَحَّاتِينَ، فَبَنَوْا لَهُ قَصْرًا" (صموئيل الثاني 5: 11). وكان بنيامين مازار الذي نقب في القدس قد أكد أن هذا القصر بني من خشب الأرز بواسطة البنائين الفنيقيين، وفوق هذا المدرج (الميلو)، وأن داود وسع حدود عاصمته باتجاه المنطقة المقام فوقها الحرم الشريف الآن (Mazar 1993:700). لكن كاثلين كنيون (1974) التي نقبت في الموقع اعتبرت أن هذا المدرج بني في فترة أقدم، وأكدت هذا أيضاً الإنجليزية الأخرى كي براغ (2007: Prag).

بعد وفاة داود تولى الحكم من بعده ابنه سليمان، الذي تذكر نصوص التوراة أنه أكمل بناء السور الذي بدأه والده، وتمت تقوية بناء المدرج (الميلو)، وبني فوقه وفوق المنطقة المجاورة له عمائر ضخمة. وتقول أسفار التوراة بهذا الصدد: "وَسَبَبَ ذَلِكَ أَنَّ سُلَيْمَانَ كَانَ يَبْنِي مَلُو وَيُرْمِمُ سُورَ مَدِينَةِ دَاوُدَ أَبِيهِ" (الملوك الأول 11: 27).

لكن ماذا حلَّ بسكان القدس اليوسيين؟ تؤكد التوراة في أكثر من موضع أن الإسرائيليين لم يتمكنوا من طردهم، وأنهم أقاموا في المدينة مع قبيلة بنيامين اليهودية. ومن الأمثلة على هذه النصوص التوراتية، نورد ما يلي:

« وَأَمَّا الْيَهُوسُيُونَ سُكَّانُ أُورُشَلِيمَ، فَلَمْ يَقْدِرْ بَنُو يَهُوذَا عَلَى طَرْدِهِمْ. فَأَقَامَ الْيَهُوسُيُونَ مَعَ بَنِي يَهُوذَا فِي أُورُشَلِيمَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ » (يشوع 15: 63).

«أَمَّا الْيَهُوسُيُونَ الْمُقِيمُونَ فِي أُورُشَلِيمَ فَلَمْ يَطْرُدْهُمْ بَنُو بَنِيَامِينَ، فَأَقَامُوا مَعَ بَنِي بَنِيَامِينَ فِي أُورُشَلِيمَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ» (القضاة 1: 21).

هذا ما تقوله الأسفار التوراتية التي كتبها اليهود بعد عودتهم من المنفى في القرن الخامس قبل الميلاد. وعلى هذا الأساس لا يمكن التأكد من صحة المعلومات الواردة فيها. أما ما تقوله الآثار المكتشفة في سلوان، فنقدمها أدناه.

الآثار في سلوان

استقر الناس في مدينة القدس وأكنافها قبل نحو نصف مليون سنة، حيث عثر في منطقة الشيخ جراح على عدد من الأدوات الصوانية المؤرخة لهذه الحقبة (Kafafi and Schick 2007). وقد أثبتت الحفريات الأثرية التي جرت في القدس أن البلدة بدأت على شكل قرية صغيرة خلال منتصف الألف الرابع قبل الميلاد ولا تزال مسكونة حتى الوقت الحاضر (Shiloh 1993:701). كما ورد ذكر مدينة القدس في النصوص الفرعونية القديمة المؤرخة للقرنين التاسع عشر والثامن عشر (نصوص اللعن)، والرابع عشر قبل الميلاد (رسائل تل العمارنة) (كفافي 2005). وأثبتت الحفريات الأثرية أن الناس نزلوا في المكان آلافاً من السنين قبل تكوين مملكة إسرائيل الفلسطينية.

وقد بنيت مدينة القدس، مدينة الأديان السماوية الثلاث، فوق منطقة جبلية مرتفعة، أقيمت فوقها أماكن العبادة، ربما حتى قبل الديانات السماوية. فأهل المنطقة، الكنعانيون خاصة، كانوا يبنون معابدهم فوق المناطق المرتفعة. والمدينة والجبل المقامة فوقه أماكن العبادة هو في الأساس مقدس لدى سكان المنطقة منذ العصور القديمة.

أما في سلوان؛ فقد استقر الناس فيها لأول مرة قبل أكثر من خمسة آلاف عام، وربما كان الحافز لهم وجود مياه دائمة في المنطقة، مثل عين أم الدرج أو عين ستنا مريم، الواقعة على المنحدر الغربي لوادي ستنا مريم. وساعد وجود مياه العين والوادي الناس على زراعة الأراضي المحيطة بها، فكانت بساتين سلوان. وقد عثر على بقايا أثرية ومقابر تؤرخ إلى منتصف الألف الرابع قبل الميلاد. وكان يفصل بلدة سلوان عن

المنطقة المزعومة المسماة "مدينة داود" وادي يسمى "وادي حلوة"، لكن البلدة امتدت فوق هذه المنطقة وأصبحت جزءاً منها. لذا، يحاول الإسرائيليون الآن بكل ما أوتوا من قوة ودهاء إخراج أهلها منها، وإعادة بناء مدينة داود المزعومة.

وتقوم إسرائيل ومنذ احتلالها شرقي القدس عام 1967 بالبحث في غور أرض القدس أملاً في العثور على بقايا لمدينة داود وسليمان، وقامت، ولا تزال، بتنقيبات في المنطقة الواقعة بالقرب من الجدار الغربي للحرم. ويؤكد الآثاري الإسرائيلي رفائيل غرينبرغ (Greenberg 2009:38) أن الحفريات في هذه المنطقة شكلت، ولا تزال، عامل تصادم بين العرب والإسرائيليين، ولا سيما أن إسرائيل فوضت أمر تلك الحفريات للحاخامات الذين استخدموا عدداً كبيراً من الآثاريين الإسرائيليين للتنقيب فيها بهدف:

1 - الكشف عن الآثار القديمة، ولا سيما تلك المؤرخة إلى الفترة التي يعتقدون أنها معاصرة لحكم الملك هيرود الأكبر.

2 - خلق مساحات واسعة لممارسة الشعائر الدينية اليهودية في المنطقة القريبة من الحرم الشريف، وربطها مع الأنفاق المكتشفة بالقرب منها لتشكل بهذا منطقة جذب سياحي.

تسمى المنطقة الواقعة خارج الأسوار، في الجهة الجنوبية- الشرقية من الحرم الشريف، عبر وادي ستنا مريم، وتحديدًا على السفح الجنوبي الغربي المسمى باسم "الظهورة". ومع بداية القرن العشرين، بدأ سكان سلوان باستغلال هذه المنطقة للزراعة، وما زالوا يزرعونها، كما بنوا مساكنهم فوقها، فأصبحت تشكل جزءاً من بلدتهم. وخلال نهاية القرن التاسع عشر بدأت الحفريات الأثرية في هذه المنطقة بإشراف جمعية صندوق استكشاف فلسطين البريطانية (Palestine Exploration Fund). وأما في الوقت الحاضر، فإن منطقة وادي حلوة التي كانت تعد فاصلاً بين سلوان وما يعرف باسم مدينة داود، أصبحت ملك سلوان وربطتها بها. وكون هذه المنطقة، برأي الإسرائيليين، هي المكان الأول لاستقرار اليهود في المنطقة، لذا أصبحت هدفاً للحفريات الإسرائيلية بحثاً عن آثار مملكة داود وسليمان. وقد حاول الإسرائيليون في بداية الأمر ربط عيون مياه "أم الدرج" و"سلوان" مع القصص

التوراتية، والآن يحاولون تأكيد روايتهم عن طريق المكتشفات الأثرية، لدعم فكرة أن هذه المنطقة هي مدينة داود المذكورة في التوراة (صموئيل الثاني 5: 9). وكان المنقب الفرنسي ريموند فايل (Raymond Weill) الذي نقب في المنطقة خلال عامي 1913 - 1914 اقترح أن هذه المنطقة هي قلعة داود (Weill 1920؛ 1947). وعلى أية حال، نود أن نشير إلى أن تقارير الحفريات الأثرية التي جرت في هذه المنطقة قبل الاحتلال الإسرائيلي عام 1967 لم تطلق على هذه المنطقة اسم "مدينة داود" ولا "قلعة داود"، وإنما "الظهور". ومن أهم تلك الحفريات:

- 1 - الحفريات التي جرت في تسعينيات القرن التاسع عشر في الجهة الجنوبية الشرقية من هذه المنطقة بحثاً عن أنفاق تحت الأرض وقام بها كل من بلس وديكي (Bliss and Dickie 1898).
- 2 - الحفريات التي قام بها الفرنسي فنسنت في عام 1911 بحثاً عن النظام المائي فيها (Vincent 1911).
- 3 - الحفريات التي قام بها كل من ماكليستر ودنكن في الفترة بين 1923 - 1925 بحثاً عن القلعة اليوسية، التي تقول التوراة إن الملك داود قد احتلها من اليوسيين (Macalister and Duncan 1926).
- 4 - الحفريات التي قامت بها الإنجليزية كاثلين كنيون في الفترة بين 1961 - 1967 (Kenyon 1974).

وتجدر الإشارة إلى أن هدف هذه الحفريات جميعها، التي جرت في القدس، كان البحث عن آثار مملكة داود وسليمان، غير أن كلاً من أولئك المنقبين قد اتبع منهجاً خاصاً به في البحث. وأثبتت نتائج هذه الحفريات أن المنطقة العليا في الظهور وسفحها الشرقي كانا مسكونين من الألف الرابع قبل الميلاد حتى الآن. لكن بعض الباحثين الإسرائيليين يرى أن منطقة السفح لم تعد مسكونة بعد تدمير القدس على يد نبوخذ نصر في نحو 587 قبل الميلاد، وانحصرت السكنى في قمة منطقة الظهور (Greenberg 2009: 39- 41).

وبعد احتلال الجزء الباقي من فلسطين عام 1967، قامت إسرائيل بالعديد من الحفريات الأثرية في منطقة سلوان، مواصلة بذلك ما تم خلال النصف الأول

من القرن العشرين، بحثاً عن الأهداف ذاتها. ونذكر منها ما قام به ييغال شيلوح (Yigal Shiloh) من الجامعة العبرية بين السنوات 1978 حتى 1985 (Shiloh 1984؛ 1993). ويبدو أن طريقة التنقيب التي اتبعها وتفسيراته العلمية للمكتشفات الأثرية لم تشبع رغبات الحاخامات، لذا نجده يصطدم مع اليهود الأرثوذكس، لأنه نقب عام 1981 في قبور اعتقدوا أنها ليهود، وأنه بهذا دمر تراثاً يهودياً. ويدل ذلك دلالة واضحة على أن رجال الدين في إسرائيل يزعمون أن كل ما يعثر عليه في هذه المنطقة هو يهودي. على أية حال، وكما ذكرنا أعلاه، فإننا نعتقد أنه بعد هذا الحدث وضعت حكومة إسرائيل هذه المنطقة تحت تصرف الحاخامات، وهم وراء المخططات الهادفة إلى تحويلها لمتنزه تاريخي.

ويذكر رفايل غرينبرغ (Greenberg 2009:41) أنه، خلال الانتفاضة الأولى، قامت منظمة إسرائيلية غير حكومية تحمل اسم "إيلعاد" (El'ad) وتعني "إلى مدينة داود" (לדאוד) بادعاء ملكية المنطقة المحيطة بوادي حلوة. بعدها فوضت إسرائيل إدارة المنطقة لمجموعة من المستوطنين الذين بدؤوا بتأسيس المتنزه التاريخي فيها.

كما جرت تحت إشرافهم بعض الحفريات مثل تلك التي قام بها مازار (Mazar 2006)، الذي ادعى بأنه عثر على مبنى لقصر يعود إلى زمن الملك داود. لكننا نود التبيه إلى أن مؤسسة "إلى مدينة داود" أسست عام 1986 (www.cityofdavid.org.il/IrDavidFoundationEng.asp)؛ أي قبل بدء الانتفاضة الأولى، وأن الأمور كان مخططاً لها سابقاً. وهذه المؤسسة تنشط الآن إماً بشراء الأراضي المحيطة بالمنطقة، وإما بالاستيلاء عليها بالقوة. وبني فوق المنطقة المسماة بمدينة داود، حيث استوطن المستوطنون حديثاً: كنيس يهودي، وحضانة أطفال، ومركز دراسات أثرية. كما ساعد تعيين إريئيل شارون عام 1992 وزيراً للإسكان في إسرائيل المستوطنين في بناء وحدات سكنية فوق مرتفع الظهورة، وبنوا مبانيهم حتى فوق الآثار (Greenberg 2009: 42). واستطاع المستوطنون بعدها أن يمدوا سلطانهم على مناطق في سلوان والمناطق القريبة منها والواقعة على مجرى وادي ستنا مريم. وبدأت، ولا تزال، سلطة الآثار الإسرائيلية بالتنقيب في المنطقة، وكشفت النقاب فيها عن بقايا أثرية يعود أقدمها للعصر البرونزي المبكر (الألف الرابع قبل الميلاد)، لكن ترك أمر تلك المكتشفات

الأثرية بأيدي المستوطنين. وهم للأسف من يختارون أي منها يجب إبرازه للناس.

إن محاولة بناء القصة التاريخية للمدينة، ومن ضمنها سلوان، يجب أن تعتمد على النصوص التاريخية والمخلفات الأثرية، لا على القصص التوراتية التي كتبت بعد موسى - عليه السلام - بمئات السنين. أما بخصوص الآثار المكتشفة في المدينة، فلا بد من الإشارة إلى أن مكتشفها، اللهم إلا من رحم ربي، هم توراتيون، بل إسرائيليون. وحتى المادة الأثرية المكتشفة، خاصة المؤرخة للفترة الواقعة بين نحو 2000 و 900 قبل الميلاد جاءت قليلة ومبعثرة (Prag 2007)، وجاءت التفسيرات حولها متحيزة أحياناً، ويجب التأكد من صحتها قبل البناء عليها. كما أن بعضاً من الباحثين قدم نظريات حول طبيعة الاستقرار في المدينة خلال تلك الفترة، يشير بعضها إلى أن المدينة أيام داود وسليمان كانت قرية صغيرة وليست مملكة كما يدعي التوراتيون (Steiner 2007؛ Auld and Steiner 1996: 32).

وعموماً، فإن الإسرائيليين، ولا سيما التوراتيين منهم، قاموا بتفسير آثار المنطقة استناداً إلى القصص التوراتية، وليس إلى المنهج العلمي والموضوعي، فهم لا يلقون بالاً للآثار المؤرخة لفترات أخرى تخرج عن نطاق الآثار التوراتية، مثل الإسلامية. لقد صب التوراتيون جهدهم في البحث عن آثار المرحلة الأخيرة من العصر البرونزي المتأخر والعصر الحديدي لاعتقادهم بأنهما الفترتان اللتان تمثلان استقرار اليهود في فلسطين وقيام مملكة إسرائيل القديمة فيها، وذلك لتعزيز شرعية الكيان السياسي لـ "دولة" إسرائيل الجديدة.

إلا أن المكتشفات الأثرية في سلوان قد أثبتت أن الناس سكنوا في المنطقة قبل وجود مملكة إسرائيل الفلسطينية بأكثر من ألفي عام. وأن المدرج، الذي يحاول التوراتيون إثبات أنه "الميلو" الذي بناه داود وسليمان هو، وحسب رأي عالمة الإنجليزية كاثلين كنيون، أقدم بمئات السنين من قيام دولة إسرائيل الفلسطينية.

المقابر

تقع القبور المحفورة في الصخر في سلوان، والبالغ عددها ما بين 50 - 60 قبراً، على المنحدر الشرقي لوادي ستنا مريم، في الجهة المقابلة للحرم الشريف؛ أي إلى الجنوب

الشرقي لبلدة سلوان، وبالتحديد إلى الجنوب من نبع ستنا مريم. وهي تتكون من ثلاثة أشكال من القبور، هي: القبور ذات السقف المستوي، والقبور ذات السقف المسقوف ببلاطات تشكل شكلاً هرمياً gabled والثالث هو القبر المحفور في داخل حجر منصوب.



خريطة توضح موقع قرية سلوان

اعتقد بعض الرحالة الذين زاروا سلوان في القرن السابع عشر، أن الملك سليمان استخدم قبور البلدة المحفورة في الصخر لإسكان زوجاته ومحظياتهن (Ussishkin 1993: 3). فقد قام عدد من الرحالة والمستكشفين الغربيين قبل عدة قرون بزيارة بلدة سلوان في أثناء زياراتهم لفلسطين، لكنها تكررت كثيراً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ونذكر من أهم هؤلاء:

R. Richardson, J. S. Buckingham, W. K. Kelly, U. J. Seetzen, C. W. Wilson, F. de Saulcy, and J. L. Porter.

وقد قدم هؤلاء في تقاريرهم وصفاً للبلدة وسكانها، وقام بعضهم بإجراء تنقيبات أثرية استكشافية في المقابر الصخرية الموجودة فيها (Ussishkin 1993: 1-13)، ومنها ما قام به الفرنسي دي سولسي من دراسة لأحد هذه القبور، والمسمى "قبر بنت فرعون" المحفور في الصخر على شكل غرفة، فقااس أبعاده، ورسم واجهته ووصفها (Saulcy 1882). وتابع الفرنسي شارلز كليرمونت-غانو في عام 1870 دراسة هذه القبور الصخرية، حيث اكتشف نقشين نقشا بالخط العبري على واجهة أحد القبور "قبر رقم 35". وتم قص الصخر الذي نقشا عليه عام 1971 بمساعدة القنصل البريطاني في القدس آنذاك، ويتمويل من المتحف البريطاني في لندن. وهما الآن ملك المتحف البريطاني في لندن (Ussishkin 1993: 7). وحصل الإسرائيلي ناحام أفيجاد على طبعة لهذين النقشين من المتحف البريطاني وقام بنشرهما (Avigad 1953؛ 1955).

وللحصول على مزيد من المعلومات حول هذه القبور، وقبل عام 1948، قام الباحثان أدولف رايفنبرغ (Adolf Reifenberg) وناحام أفيجاد (Naham Avigad) من الجامعة العبرية بدراستها، وذكروا أنهم وجدوا نقشاً على واجهة القبر رقم 34، وبناء عليه اقترحا أنها تخص الملك داود وعائلته (Reifenberg 1948: 134 - 137). ثم قامت بعثة أثرية إسرائيلية برئاسة ديفيد أوسيشكن ابتداء من عام 1968 حتى عام 1971، أي بعد عام على سقوط سلوان بيد الإسرائيليين بإجراء مسوحات وحفريات أثرية فيها (Ussishkin 1993). ويذكر هذا الأخير في تقريره أنه لاحظ وجود بقايا أثرية بين البيوت العريية الحديثة، علماً أن القبور تقع على المنحدر الصخري وهي من أملاك الكنيستين الروسية والفرنسيسكانية. ولا ينكر هذا الإسرائيلي أن بعض هذه القبور تحولت في

الوقت الحاضر إلى مساكن للناس، أو تشكل أجزاء من بيوت لبعض العائلات.

أما بالنسبة لتأريخ هذه القبور، فلم يتفق الباحثون الإسرائيليون أنفسهم عليه. إذ ذكر بعضهم أن قبر بنت فرعون، وربما بعض القبور الأخرى، تعود لما بعد القرن الخامس قبل الميلاد، وهي الفترة التي يسميها الباحثون الإسرائيليون ما بعد النفي "Post-Exilic" (Lofreda 1973). أما أفيجاد (Avigad) فقد أرخ القبر 35 المسمى بقبر كبير خدم الملك "Tomb of the Royal Steward" بنحو 700 قبل الميلاد. لكن الإسرائيلي أوسيشكين يرى غير ذلك ويؤرخها للقرن العاشر قبل الميلاد، وهي الفترة التي يسميها فترة الهيكل الأول؛ أي الذي بناه سليمان "First Temple Period"، ويعتمد في تأريخه هذا على عدة أمور، أهمها شكل الخط المنقوش على واجهات القبور (Ussishkin 1993: 325-327). ويقول إن هذا الخط كتب على نفس الشاكلة التي كتب فيها الخط العبري القديم.

ونستطيع القول: إن هذه القبور المحفورة في الصخر والمستخدمه منذ إنشائها وحتى الوقت الحاضر يصعب تأريخها لعدة أسباب:

- 1 - أنها تخلو من أية مكتشفات أو مواد أثرية تساعد في تأريخها.
- 2 - أنها استخدمت عبر العصور المختلفة (الرومانية والبيزنطية والإسلامية)، ولا تزال قيد الاستخدام، ولا توجد أية إشارات إلى بداية استخدامها.
- 3 - لا يمكن ربط هذه المقابر بعضها مع بعض لتكون وحدة واحدة، لذا من المستبعد جداً أن تكون خدمت عائلة واحدة. لكننا نعترف أنها تقع جميعاً في المنطقة نفسها، ولهذا يمكن عدها وحدة أثرية واحدة، لكن غير متعاصرة.
- 4 - يرى أوسيشكين أن منطقة القبور حفرت في الفترة نفسها، وأن المنطقة برمتها تحولت إلى محجر. لكنه في الوقت نفسه يذكر أن الحفر في المنطقة مر بأربع مراحل زمنية، لكنها في إطار الفترة الواحدة.
- 5 - يعتقد المنقب أن جميع تلك القبور قد استخدمت لأغراض دينية؛ لأن من حفرها استخدم الأدوات والتقنية نفسها، والصخور نفسها، وهي متشابهة، وقد تعرضت للحت بفعل العوامل الجوية بنفس المقدار (Ussishkin 1993: 17).

6 - عثر الدارسون لقبور سلوان على أربعة نقوش جنائزية منقوشة بخط عبري واحد منها على واجهة القبر المسمى (قبر بنت فرعون) قصير جداً لا يتعدى محتواه الحرفين (Avigad 1953؛ 1954؛ Ussishkin 1993:241- 254)، وهذا غير كاف للاستدلال على صاحبه. أما أطولها فهو المنقوش على واجهة القبر رقم 35، لكن جميع النقوش جنائزية.

ويمكن الاستنتاج مما ذكر أعلاه أن جميع التواريخ المقترحة لمقبرة سلوان اعتمدت على افتراضات وليس على حقائق علمية ثابتة.

النشاط الاستيطاني الإسرائيلي في سلوان

كتب الكثير عن آثار مدينة القدس وأجريت فيها الكثير من الحفريات والمسوحات الأثرية من قبل الإسرائيليين وغيرهم، هدفت جميعها إلى البحث عن آثار مملكة إسرائيل التوراتية. ونتج عن هذه الأعمال الميدانية الأثرية مكتشفات أثرية كثيرة حاول مكتشفوها وضعها ضمن إطار زمني، وتاريخي معين، ونسبتها إلى مجموعة معينة من البشر. وللأسف جدّ هؤلاء الباحثون في تفسير هذه اللقى الأثرية، وحاولوا ربطها مع الحدث التوراتي لنسج تاريخ لكيان إسرائيل الصهيونية المعاصرة (Abu el-Haj 2001؛ Feige 2007).

مر أكثر من ستين عاماً على سقوط غربي القدس الغربية، وأكثر من أربعين عاماً على شريقها، تغيرت خلالها المعطيات الأثرية والتاريخية، وحتى القانونية الدولية، كثيراً. حيث قامت إسرائيل بإجراء عدد كبير من الحفريات الأثرية داخل المدينة وفي محيطها (Greenberg and Keinan 2007)، خاصة في المنطقة القريبة من الحرم الشريف، مما أدى إلى تغيير ملامح المنطقة كلياً عما كانت عليه عند الاحتلال عام 1967، وإلى تصدع جدران المباني القريبة من منطقة الحفريات. وبعد أن قام الإسرائيليون ببناء العديد من المستوطنات في القدس والمناطق القريبة منها، بهدف تغيير الواقع الديموغرافي في المدينة، أصبح يطلق على القدس اسم "القدس الكبرى"، التي تضم حالياً - وحسب الإحصائيات الإسرائيلية - نحو 730.000 ألف شخص، يشكل الفلسطينيون منهم ما نسبته 30% (Greenberg 2009:36)، إضافة إلى

التنقيبات الأثرية وتفسيراتها التي تصب لصالح المنهج التوراتي، والنشاط الاستيطاني المكثف في القدس، بعد ذلك انتقل الهدف بشكل مرسوم ومخطط إلى بلدة سلوان.

كما نعلم فإن إسرائيل تربط بين النصوص التوراتية، والمكتشفات الأثرية في إعطاء نفسها الحق لسلب البلاد من أهلها، وفي تأكيد حقها التاريخي المزعوم في فلسطين. إن ما تقوم به إسرائيل من أعمال ميدانية أثرية في الأراضي المحتلة يعد أمراً مخالفاً للمواثيق الدولية، وعلى المؤسسات الدولية المعنية، مثل، اليونيسكو، مطالبة إسرائيل التوقف عن المضي بذلك؛ لأنه لا يجوز لها إجراء حفريات أثرية في مناطق محتلة، ولا يحق لها العبث في ممتلكات غيرها التراثية.

إن قرب موقع سلوان من منطقة الحرم القدسي الشريف قد صبغ عليها صبغة تاريخية، وانعكس ما يجري في المدينة المقدسة على أهلها فأصبحت جزءاً منها. ومن هنا نرى أن جميع الدراسات الإسرائيلية والتوراتية الغربية تربط بين سلوان والمكان الذي اتخذته الملك داود عاصمة له (Gonen 2003). ونتيجة لهذا فقد قررت إسرائيل مؤخراً تحويل بلدة سلوان إلى متنزه تاريخي، يرصد الزائرون فيه، بحسب زعمها، الأحداث التي تمت في عهد الملكين داود وسليمان. ولتنفيذ هذا المخطط سلمت الأمر لجماعات المستوطنين (Greenberg 36: 2009)، الذين باسروا الضغط على أهالي البلدة لإخراجهم منها عنوة. وكانوا في الأصل قد بدؤوا بإجراء حفريات أثرية في مناطق متعددة من سلوان.

إن تسليم أمر الدراسات الأثرية وتطوير بلدة سلوان للمستوطنين يعني الربط بين الأيديولوجيا الصهيونية وبين الدين لتحقيق أهدافهم على أرض الواقع؛ أي أن الحاضر الصهيوني هو امتداد للماضي اليهودي. ولتحقيق هذا المأرب، لا بد من إخراج سكان سلوان العرب منها. وبحسب إحصائية إسرائيلية فإن العرب يشكلون الآن ما نسبته 90% من سكان سلوان الذين يراوح عددهم بين 40.000 - 50.000 ألف نسمة* (Greenberg 2009: 36).

إن الجمع بين الآثار، والأيديولوجيا الصهيونية، والتاريخ، والدين، والسياسة، لتنفيذ مخططات إسرائيل في سلوان كغيرها من مناطق فلسطين الأخرى، لا يساعد، بل يهدد، فرص السلام المستقبلية بين العرب والإسرائيليين. لذا، فإن على إسرائيل

وقف مخططاتها التهودية في سلوان، ومنها إقامة متنزه تاريخي فيها، وطردها أهلها العرب وتهجيرهم منها.

الخاتمة

إن الاستقرار في مدينة القدس سبق وجود مملكة داود وسليمان بأكثر من ألفي عام، وأول مرة تذكر فيها القدس في النصوص التاريخية كان في نحو 1900 قبل الميلاد (كفاي 2005)، حين كانت إحدى المدن الكنعانية في بلاد الشام، سكنها بعد ذلك اليوسيون، ومن ثم اليهود الفلسطينيون، ثم دخلها اليونان وتبعهم الرومان، ومن بعدهم البيزنطيون، ومن ثم فتحت على يد الخليفة عمر بن الخطاب فدخل أهلها الإسلام. لذا، فالقدس كانت دوماً مدينة متعددة الهويات الثقافية في إطارها الزمني، لكن فضاءها عربي الهوية.

وإننا نأمل أن تسهم هذه الدراسة بوضع صورة حقيقية عن تاريخ سلوان في العصور القديمة، وإظهار زيف الزعم الإسرائيلي، بناء على حقائق أثرية لا تحتل التأويل، على العكس من النهج الذي يتبعه الصهاينة إذ يعتمدون النص التوراتي مرجعاً لهم في تفسير الآثار وفهمها. إلا أن الدراسات الأثرية يجب أن لا تخرج من إطارها العلمي والموضوعي، وأن لا تستخدم في توجيه النزاعات السياسية والدينية والعرقية. إن بعضاً من الدول والمؤسسات والأفراد يلوي ذراع المخلفات الأثرية ويستخدمها لتحقيق أهداف وغايات خاصة به. وهذا ما يجري في مدينة القدس على يد الإسرائيليين. ومن المؤسف أن التفسيرات التي يطلقها بعض الباحثين خطأ، ويربطون فيها بين الدين والتاريخ والآثار، ويحشونها في أذهان الناشئة من أبناء جلدتهم، يعزز عند هؤلاء، في بعض الأحيان، نزعة عداوية وتعصباً أعمى.

شكر وعرفان

يشكر الباحث كلاً من الدكتور عاصم البرغوثي، والسيد نواف الزرو، والسيدة عفاف زيادة لقراءتهم للمعلومات الواردة في البحث وإبداء الملاحظات الضرورية حولها. والشكر أيضاً موصول للسيد علي العمري لرسمه الخريطة المرفقة بالنص.

المراجع

* هذه الإحصائية منشورة أصلاً في كتاب باللغة العبرية هو:

Ramon, A. (ed.) 2007; The Historic Basin – Problems and possible Solutions. Jerusalem: Jerusalem Institute for Israel Studies (Hebrew).

أ - العربية:

- كفاقي، زيدان 2005، القدس في الألف الثاني قبل الميلاد. الصفحات 335-343 في يوسف محمد عبدالله وآخرون (محررون)، صنعاء الحضارة والتاريخ، المجلد الأول. صنعاء: جامعة صنعاء.

ب - الأجنبية:

- Abu el-Haj, N. 2001; Facts on the Ground: Archaeological Practice and Territorial Self-Fashioning in Israeli Society. Chicago.
- Auld, G. and Steiner, M. 1996; Jerusalem 1: From the Bronze Age to the Maccabees. Cities of the Biblical World. Cambridge: Lutterworth.
- Avigad, N. 1953; Israel Exploration Journal 3: 137 – 152.
- Avigad, N. 1955; Israel Exploration Journal 5: 163 – 166.
- Bliss, F. and Dickie, A. C. 1898; Excavations at Jerusalem. London.
- De Saulcy, F. 1882; Jérusalem. Paris.
- De Saulcy, M. L. 1859; Dictionnaire des Antiquités Biblique, in Troisième Et - Dernière Encyclopédia Théologique, XLV: cols. 405 – 409.
- Feige, M. 2007; Recovering Authenticity: West Bank Settlers and the Second Stage of National Archaeology. Pp. 277- 298 in P. L. Kohl, M. Kozelsky and N. Ben Yehuda (eds.), Selective Remembrances: Archaeology in the Construction, Commemoration, and Construction of National Pasts. Chicago: Chicago University Press.
- Gonen, R. 2003; Contested Holiness: Jewish, Muslim and Christian Perspectives on the Temple Mount in Jerusalem. Ktaf: Jersey City.
- Greenberg, R. 2009; Towards an Inclusive Archaeology in Jerusalem: The Case of Silwan/ The City of David. Public Archaeology Vol. 8. No. 1: 35 – 50.
- Greenberg, R. and Keinan, A. 2007; The Present Past of the Israeli-Palestinian Conflict: Israeli Archaeology in the West Bank and East Jerusalem. Tel Aviv: The S. Daniel Abraham Center of International Religion Studies, Tel Aviv University.
- Kafafi, Z. and Schick, R. (eds.) 2007; Jerusalem before Islam. British Archaeological Reports International Series.

- Kenyon, K. 1974; Digging Up Jerusalem. London: Benn.
- Loffreda, S. 1973; The Late Chronology of some Rock-Cut Tombs of the Selwan Necropolis, Jerusalem. *Liber Annus* 23: 7-36.
- Macalister, R. A. S. and Duncan, J. G. 1926; Excavations on the Hill of Ophel, Jerusalem. *Annual of the Palestine Exploration Fund* 4. London.
- Mazar, E. 2006; Did I find King David's Palace? *Biblical Archaeology Review* 32/1: 16-27, 70.
- Mazar, B. 1993; Jerusalem. Pp. 698–701 in E. Stern et al. (eds.), *The New Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land*. Vol. 2. New York: Simon and Schuster.
- Prag, K. 2007; Jerusalem in the Third and Second Millennia B.C. The Archaeological Evidence. Pp. in Z. Kafafi and R. Schick (eds.), *Jerusalem Before Islam*. British Archaeological Reports International Series.
- Reifenberg, A. 1948; *Journal of the Palestine Oriental Society* 21: 134-137.
- Shiloh, Y. 1993; Jerusalem. Pp. 701–713 in E. Stern et al (eds.), *The New Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land*. Vol. 2. New York: Simon and Schuster.
- Steiner, M. 2007; Jerusalem in the Late Bronze and Iron Ages. Archaeology Versus Literary Sources. Pp. 69-73 in Z. Kafafi and R. Schick (eds.), *Jerusalem before Islam*. British Archaeological Reports International Series.
- Ussishkin, D. 1993; The Village of Silwan. The Necropolis from the Period of the Judean Kingdom. Jerusalem: Israel Exploration Society.
- Vincent, L. H. 1911; *Jerusalem sous terre*. London.
- Weill, R. 1920; *La Cité de David 1913-1914*. Paris.
- Weill, R. 1947; *La Cité de David 1923-1924*. Paris.

* * *